الوظيفة الحجاجية للغة العربية في الأدب السياحي
ــ إمتاع، وإقناع، ومثاقفة ـ

أ.د نوال بومعزة

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر

الملخص:

تشكّل اللغة المكوّن الأساس للأدب، تنتعش في نصوصه وتزدهر و تثمر بتطوّر فنونه، فالعلاقة بينهما جد وثيقة، وفي ظل تسارع الأحداث وتطّوّر المعارف والتخصصات أصبحت حتمية تطوير اللغة العربية وتكييفها مع المحيط الاجتماعي والثقافي والحضاري هدف لابد أن يتحقق، ومن بين المجالات القديمة الجديدة التي تحتضن اللغة وتحفل بها نجد الأدب السياحي.

يرتكز هذا المجال على اللغة في محاولة الكتّاب ــ عن قصد أو عن غير قصدــ استقطاب القارئ السائح الذي لا يكتفي بالقراءة بل تغريه نصوص الكتاب لزيارة الأماكن والتعرّف عن تفاصيل انطلاقا مما قرأه. فالنسيج اللغوي للأدب السياحي يحمل في طياته شحنات حجاجية متنوعة الأساليب تهدف بصفة أدق إلى التواصل وتفعيل عنصر المثاقفة بين الشعوب. وبالتالي تتجاوز اللغة في الأدب السياحي الوظيفة اللسانية الشكلية إلى تحقيق الوظيفة النفعية التواصلية بأساليب الإمتاع والإقناع.

من خلال هذا المعطى تحاول هذه الدراسة البحث عن العلاقة التي تربط الأدب السياحي باللغة، وكيف تسهم الوظيفة الحجاجية للغة في جذب القارئ السائح، ماهي الأساليب الحجاجية التي تميّز النصوص الأدبية السياحية؟ ومدي تحقق جماليتها الفنية لتؤدي الغرض النفعي؟

ولتكون الدراسة أكثر إقناعا سنحاول إسقاط هذه المفاهيم وخاصة نظرية أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot على نصوص روائية

جزائرية برز فيها البعد السياحي على مستوى النسيج اللغـوي، والبنية السردية مـن تلـك النصـوص روايـة جسـر للبـوح وآخـر للحنين للأديبة زهور ونيسـي وروايـة عـابر سـرير للكاتبـة أحلام مستغانمي، ورواية الملحد للكاتب عبد الرشيد هميسي..

الكلمات المفتاحية: الوظيفة الحجاجية، اللغة، الرواية الجزائرية، الحجاج، الخطاب السياحي.

Abstract:

The language, which forms the basis of literature, is flourishing in texts, flourishing and producing its art. The relationship between the two is very close. With the acceleration of events and the development of knowledge and disciplines, the imperative of developing Arabic and adapting it to the social, cultural and cultural environment is a goal that must be achieved. Among the old areas where language is embraced and celebrated, we find tourist literature.

This area is based on the language in which writers attempt - intentionally or inadvertently - to attract a tourist reader who is not only reading but who is tempted by book texts to visit places and learn details from what he has read. The linguistic fabric of tourist literature carries with it various tractors of various methods aimed more precisely at communication and the activation of the element of tension among peoples. Thus, the language in tourist literature goes beyond the formal soft function to the fulfilment of the communication beneficial function by means of entertainment and persuasion.

Through this study, this study attempts to explore the relationship between tourist literature in the language, and how does the language forestry function contribute to attracting a tourist reader, what methods of arguments characterize tourist literature? And how much is her artistic beauty to do the good thing?

To make the study more convincing, we will try to drop these concepts, especially the Oswald Ducrot theory, on Algerian novels in which the tourism dimension has emerged in the linguistic fabric, and the narrative structure of those texts is a bridge of revelation another of nostalgia by Zhour Ounissi, and Abir Sarir by Mosteghanemi, and Atheist novel by Abderachid Hemici.

Key words: The argumentative function, language, Algerian novel, arguments, tourist talk.

1ـ في مفهوم الأدب السياحي، وإشكالية المصطلح.

توّسعت في الآونة الأخيرة مجالات اشتغال الأعمـال الأدبيـة، فتفاعلت الخطابات الأدبيـة مـع الخطابـات غيـر الأدبيـة، فاتحـة المجـال أمـام تفعيـل الخطـاب الأدبـي، وتحـوّله إلـى ممارسـة ثقافيـة وفكريـة حضـارية باعتبـاره يعتمـد اللغـة أهـم أشـكال الاتصال الإنساني. ويُعد الأدب السياحي من الخطابات النقديـة المعاصرة التي تحاول أن تجـد لهـا مكانـا فـي السـاحة النقديـة العربية، تتموقـع تخـوم الأدب السـياحي وتتجـاوز فيمـا اصـطلح عليـه بـأدب المهجـر، والأدب الجغرافـي، وأدب الرحلـة، حيـث تجمع خيوطا رفيعة بين هذه المصـطلحات . وقـد حـاول الناقـد يوسف وغليسي ضبط التحديدات الاصطلاحية للمفاهيم النقدية السابقة كالآتي :

ـ **أدب المهجر**: وقد "تكرّس هذا المصـطلح فـي تاريـخ الأدب العربي الحديث الدلالة على حال بعض المهـاجرين العـرب مـن بلاد الشام لطلب الرزق والحرية، وهروبـا مـن بطـش الاحتلال، وهم الذين اتخذوا من القارة الأمريكية بشمالها وجنوبها مهاجرا لهم."[1]

ـ **أدب المنفى:** " يتحدد هذا من خلال تركيز الكتاب والشعراء في كتاباتهم على المكان المنفى منه لا المكان المنفى المكان المنفي إليه، لأن المنفي أكثر تعلقا بالأمكنة التي فقدها." [2]

ـ **أدب الرحلة**: و"هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد(...)ويعتبر

أدب الرحلات إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية أحيانا . مصدرا هاما للدراسات التاريخية المقارنة. "[3]

ـ **الأدب الجغرافي** : يعود هذا المصطلح – ما يذكر الناقد يوسف وغليسي إلى المستشرق الروسي الكبير اغناطيوس كراتشكوفسكي Ignati knatchkov الخ بير بتاريخ الأدب العربي قديمه وحديثه، " وقد حدد النقاد أن الموضوع جغرافي لكن التناول أدبي، فكان الأدب الجغرافي. " [4]

إنّ حدود التماس بين المفاهيم السابقة الذكر تنحصر في مفهوم رؤية الكتاب والشعراء للمكان، وظروف تنقلهم ووصفهم لبيئتهم و بالتالي تبلور مفهوم الأدب السياحي و استمد من مفهوم أدب الرحلات بالدرجة الأولى. و"من المعروف أن الأماكن عامة تكوّن الذاكرة التاريخية للناس، وكذلك الأماكن التي ترد في الروايات الناجحة فإنها تكوّن عندهم فضلًا عن الذاكرة التاريخية الذاكرة الوجدانية والعاطفية. الرواية وسيلة مهمة لترغيب الناس في زيارة الأماكن التي تناولتها. وإذا كان القارئ يتابع تجليات المكان من أجل الفائدة والإمتاع فإن السائح كذلك يتجول في المكان كي يزداد معرفة بالماضي ويتلذذ بما يشاهده على أرض الواقع. لهذا لا عجب أن تستقطب الأماكن الروائية الناس من البلدان كافة لزيارتها والتعرف إلى تاريخها، والتمتع بجمالها، ولتصبح محجات ومزارات لهم على مرّ الزمن. كما أن الإنسان لديه الرغبة القوية دائمًا كي يرى على أرض الواقع الأماكن التي قرأ عنها، ومشاهدة الأماكن التي ذكرها الشعراء والأدباء في أعمالهم وبخاصة الروائيون، لأن الرواية ألصق الفنون بالمكان. لهذا يمكن أن تقوم بدور مهم في تنشيط السياحة وتوجيه أنظار السياح إلى أماكن جديدة لم ينتبهوا إلى وجودها من قبل."[5]

2ـ الأدب السياحي والوظيفة الحجاجية.

يعدّ الحجاج حاجة حضارية كبرى يستدعيها السياق، وهو حتمية تطوّرية للبلاغة التي لم تعد" محصورة في الأنواع الخطابية القديمة التي حددها أرسطو في الخطاب السياسي

والخطاب القضائي والخطاب الاحتفالي، بل إنّها ماثلة في كل الخطابات التي يتواصل بها الناس في أمور دنياهم العلمية والثقافية."[6] تتمحوّر الوظيفة الأساس للغة في نصوص وخطابات الأدب السياحي في الاهتمام باستراتيجيات التأثير والإقناع" فإذا كان الحجاج في البلاغة القديمة يعتمد على المنطلق الطبيعي، فإنه في إطار اللسانيات التداولية أخذت دراسته تهتم باستراتيجيات الخطاب التي تهدف إلى التأثير في المتلقي واستمالته بناء على أنماط من الاستدلالات غير الصوتية، كما تهدف إلى إحداث هذا التأثير بالأقوال."[7] إنّ الامتداد الواسع للحجاج جعله يستمد قوّته من تأثيره في المتلقي، وبالتالي يتخلص من الوظيفة الطبيعية له، وينتشلها من الصرامة ومطابقة محتواه للوقائع.

إنّ صفة السياحي التي تميز العديد من النصوص الروائية العربية تتحوّل من خلال إسقاط مفاهيم الحجاج وتحويلها إلى حجج لغوية سردية تنحو منحى المرشد السياحي في الرواية من منطلق " أنّ الحجاج ينتمي في الحقيقة إلى مجموع الأفعال الإنسانية التي تسعى إلى الإقناع فعديد من مقامات التواصل تسعى في الواقع إلى حمل الفرد أو المتلقي أو الجمهور على تبني سلوك ما أو مشاطرة رأي معين."[8] وسواء قصد الكاتب التوّجه بسرديته إلى مشاطرة المتلقي مشاهد مكانية أم لا يقصد، فالثيمات الجوهرية التي تتوفر عليها الرواية ألا وهي المكان والشخصيات والموضوعات المطروحة تشكل مركز اهتمام المتلقي، وبمجرد نشر الرواية وتوزيعها ، تصبح ملكا للقارئ، له الحرية في التصرّف في دلالتها، وتشكيل رؤية ذاتية لأهّم الأبعاد التي يستنتجها من خلال القراءة.

وإذا ما أردنا أن نربط الثلاثية : حجاج سياحي/ لغة/ رواية نجد العلاقة جد وطيدة وعميقة، "فالحجاج يرتبط ارتباطا عميقا باللغة البشرية، وهو إحدى إمكاناتها الكبرى، وينبغي لكل ثقافة أيضا أن تسند له مكانة لأجل أن تتمكن هذه الطاقة اللغوية من النمو."[9]

إنّ ظهور نظرية الحجاج Argumentation theory هو نتيجة تسارع الدراسات اللغوية، ومدى ارتباطها بالسياق والأهداف النفعية للغة. يعد الناقد اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو O.Ducrot مؤسس نظرية الحجاج 1973، وهي " نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية، التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير."[10] من هذا المنطلق تسند النصوص الروائية الجزائرية التي تفعّل المكان والموروث الثقافي والشعبي على اللغة العربية في تحويل الرواية من مجرّد نص أدبي متخيّل إلى نص أدبي لغوي منفعي بالدرجة الأولى يدعو القارئ إلى رحلة خيالية أو حقيقية لزيارة الأمكنة التي وردت في النص، وبالتالي تنفتح النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية على ممكنات السياحة ، فتجسد العديد من تمظهراتها، وتؤكد على الطابع الافتتاحي للرواية على باقي العلوم والمعارف الأخرى.

إذن، نحاول من خلال مقولات نظرية الحجاج تمثل هذه النظرية اللغوية في الرواية العربية الجزائرية من خلال التركيز على فعل الحجاج، والقيمة الحجاجية، وتحديد العلاقات الحجاجية، والروابط والعوامل الحجاجية.

3ـ فعل الحجاج وأبعاده اللغوية والسياحية في رواية جسر للبوح وآخر للحنين للكاتبة زهور ونيسي.

تتميّز الرواية بالحضور الدائم في كل الأزمنة والأمكنة، فهي كالحياة تماما تتجدّد باستمرار، فتأخذ أشكالا وقوالب جديدة تواكب العصر. لا يستطيع الكاتب أن يمتلك تجربة إبداعية دون الاعتماد على التجريب الذي يمنح نصوصه التجدّد واستمرارية القراءة، وتكوين جمهور من القرّاء المتابعين لجديد أعماله، "فينتهج الفعل الحجاجي الذي يفرض على المخاطب نمطا معيّنا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام

يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره."[11]

إنّ المتتبع للمسار الإبداعي للكاتبة زهـور ونيسـي يسـتنتج ذلك التنويع المستمر في طرح القضايا التي تتعلّق بكل مرحلـة عايشتها مع الاهتمام بتشكيل النصوص، فتتكرر ثيمات من مثل: الوطن، المرأة، الثورة الجزائرية، التاريخ، الـتراث. إنّهـا الكاتبـة التي لا تغيب من رواية يوميات مدرسة حرة 1978 ، إلـى روايـة لونجـة والغـول 1994، بعـدها روايـة جسـر للبـوح وآخـر للحنيـن 2007، فالرواية من منظور زهور ونيسي:" لا يمكن كتابتها بعيدا عن الناس ومعانـاتهم، والقضـايا الإنسـانية لا تنتهـي.."[12] تعتمـد الكاتبة تقديم سلسـلة مـن المتواليـات السـردية الـتي جوهرهـا حجـج تؤكـد حضـور مدينـة قسـنطينة بكـل تجلياتهـا وقضـاياها، وبالتـالي تحـاول الكاتبـة تـوجيه القـارئ نحـو التعلـق بالبنيـة المكانية، وذلك بالتركيز على محورين هما:

ـ **الذات المبدعة**: يجـب أن يكـون الهـدف مـن الكتابـة نـبيلا يعتمـد مبـادئ الالـتزام نحـو قضـايا الشـعب، فيحضـر الفعـل الحجاجي ليؤكد دور اللغة العربية في تحقيق هذا الهدف.

ـ **النص الإبداعي**: يجب أن يتوفر على عنصر ارتباط الكتابة بأهداف ومبادئ سامية، تعطي قيمـة وقـوّة للكتابـة ولصـاحبها. كمـا تؤكـد " أنّ الكلمـة تسـتمد وجودهـا مـن طمـوح البشـرية، وعندما ينتهي الكفاح المسلح بتحقيق الأهداف التي قام لأجلهـا، لا ينتهي نضال الكلمـة بـل يسـتمر أشـد قـوّة وفاعليـة، ويكـون نضال الكلمة المقـدّس لأجـل المبـادئ السـامية المخلصـة فـي ثبات وإصرار، رغـم المـوت المحـدق دائمـا بالكلمـة الحـرّة."[13] وبالتالي فالنسيج اللغوي مهّم بالنسبة للكاتبة زهور ونيسي.

يمكن اعتبار مدينة قسنطينة البطل المحوري في الروايـة، كـل الأحداث تتمحـور حولهـا فـي القـديم، وفـي زمـن عـودة كمـال عطار، من خلال الرجوع إلى الإهـداء الـذي تصـدر الروايـة منـذ بدايتها كعتبة نصية تحاكي قصة حبهـا مـع هـذه المدينـة:" علـى قسنطينة.. المدينة المستعصية على الامتلاك."[14] .

أــ الحجاج بسرد الأحداث التاريخية.

يعمل الفعل الحجاجي على التوجيه بإحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، فتعمل التراكيب اللغوية الدالة على استحضار التاريخ، حيث استهلت الكاتبة زهور ونيسي روايتها بحديث يرتبط بالتاريخ القسنطيني"، قابله تمثال الرجل الروماني منتصبا، والذي أطلق على المدينة اسمه نرجسية، وفخرا، مدعيا أنه خير اسم المدينة من سيرتا إلى قسنطنطين في إطار تطبيق سياسة المصالحة الوطنية الرومانية، ها هو تمثاله وهو يحمل في يده مزهوا وثيقة امتلاك المدينة.

"قسطنطين القائد الروماني، واقف بتنورته القصيرة وفي خصره خنجر، كان أهم سلاح يمتشقه فارس محارب، ولا بأس من أن يحمل خصره الثاني فأسا، ذلك كل ما يمكن ان يتسلح به محارب في تلك العهود."[15] منحت هذه الانطلاقة التاريخية فاعلية في جذب القارئ لتتبع أحداثها وربطها بالخطاب الواقعي، فمرجعية الكاتبة واقعية تاريخية، أعمالها الروائية تستمد الأحداث "من الحياة الإنسانية بصورها المتباينة، وتستقي من الوجود بأسره في مختلف مناحيه، المادية والمعنوية، طريقا للانطلاق في العمل السردي ـــ بشكل عام ـــ وفي العمل الروائي بشكل خاص الذي يجتاح إلى دفق كبير من الأحداث بعكس القصة القصيرة، التي تحتاج إلى تسليط الضوء على حدث أو أحداث محدّدة، فالرواية تحتاج إلى أحداث شتيتة في الحياة، تتجمع، وتتشابك من أجل صياغتها كفن روائي. وهذا ما يؤكد أن الأدب والحياة صنوان لا يفترقان".[16]تشتغل المقاطع السردية التاريخية على ربط القارئ بمدينة قسنطينة ومسارها التاريخي في الماضي وفي الحاضر، ما الذي تغير في هذه المدينة بعد وصول كمال عطار؟ وبالرغم من أن الأحداث التاريخية تحضر من الفينة والأخرى إلاّ أنها تتبع التسلسل الزمني في يتطلب من القارئ تأكيد الحجج

المقدمة بالبحث في التسلسل التاريخي الذي مرّ بمدينة قسنطينة.

ـــــ قسنطينة في عهد ماسينيسا.

ـــ أعاد الإمبراطور قسطنطين بناءها عام 313م بعد تدميرها من طرف البزنطيين سنة 311م، واتخذت اسمه وصارت تسمى القسطنطينية.

ـــ قدوم اليهود الذين طردوا من الأندلس.

ـــ مرحلة الاستعمار منذ 1830م.

ـــ معركة صالح باي مع المستعمر الفرنسي.

ـــ مرحلة الثورة الجزائرية، وتضحية أبطالها.

لقد شكّلت الحجج اللغوية التي وردت في شكل جمل استفهامات التي كان يطرحها البطل كمال عطّار في كل خطوة يخطوها في مدينة قسنطينة مغناطيسا سرديا يجذب إليه الحدث الموالي إمّا بالاستذكار أو بنسق التضمين، فالأحداث والشخصيات والأمكنة والأزمنة تدور حول قصة كمال عطار وعلاقته بمدينة قسنطينة، وما هذه الفكرة سوى انعكاس لرؤية الكاتبة ومنظورها الفكري تجاه العصر الذي تعيش فيه، من تلك الاستفهامات :

ـــــ " لعلهم بدأوا يعرفون قيمة التاريخ؟"

ـــ فأي بيت في هذه المدينة يرضى بعد ذلك بإيواء الخطايا حتى لو كن فلذات أكباد؟

ـــــ إنّ لها أبوابا سبعة فأي باب منها يريد؟ نعرّج في هذه الأمثلة على أسلوب الاستفهام البلاغي، وهو الذي لا يتطلب جوابا، تمتد أغراضه إلى المتلقي المشارك في الأحداث ، فالإجابة من حقه ومن تأويله للصيغ الاستفهامية المقدّمة.

تنعكس المرجعيات الفكرية والسياسية للأديبة زهور ونيسي في مفهوم الكتابة الفاعلة التي تنقل الصورة الجمالية والفعلية لمدينة قسنطينة والإحساس بضرورة المواصلة في الكتابة

خدمة لقضايا المجتمع مسار التزمت به الكاتبة زهور ونيسي، فالكاتب عليه مسايرة الواقع ممّا يسمح له بتطوير أدوات كتابته، "فتطوّر الرواية يأتي عبر توغلها في المناطق المسكوت عنها، وفي جرأة أدوات الروائي على إبداع تحوّلات في ما تعوّد القارئ مطالعته والاستمتاع به، وبالفعل، فإنّ لكل مرحلة أبطالها وخيالها وقضاياها التي تطرحها بالأسلوب واللغة المناسبين."[17]

لقد اختارت الكاتبة زهور ونيسي اللغة العربية في أبسط تراكيبها بسيطة ممزوجة باللغة الواقعية القريبة من فهم العامة، فتحوّلت الرواية إلى مسرح صاخب بالأحداث والشخصيات والأمكنة الجزئية التي تعرّف بمدينة قسنطينة ، أما الزمن فهيمن الاستذكار (الارتداد الزمني) لقد استرجعت الكاتبة المدينة و تمثلتها بكل تفاصيلها. لقد ارتبط الاستذكار بنظام التضمين، فلا يمكن سرد القصص السابقة الذكر دون توظيف هذه التقنية الزمنية المهمة في لاستعادة ذكريات كما العطار مع عائلته وجيرانه وأبناء المدينة، ومعالم مدينة قسنطينة، فالاستذكار فضاء زمني محوري في رواية جسر للبوح وآخر للحنين، فهو يحيل على خلفيات أيديولوجية تخص الكاتبة، خاصة ما تعلق الأمر بآرائها حول أحداث العشرية السوداء، والفتاوى الدينية والشعارات التي كانت ترفع في تلك الفترة. إن العودة إلى الماضي استراتيجية سردية لسبر أغواره، والبحث في تداعياته في الحاضر، وطرح الإشكاليات: ما الذي تغير في مدينة قسنطينة؟

ما مصير كمال العطار؟ هل سينتهي زمن الخوف وتعود المدن الجزائرية إلى سابق عهدها؟ إنّ هذا الارتكاز القوّي على الاستذكار والنبش في الماضي وتفاصيل الأسرة الجزائرية، مكّن من تحويل رواية جسر للبوح وآخر للحنين إلى وثيقة تاريخية تحمل أحداثا وحيثيات تاريخية عن مدينة قسنطينة وسكانها.

ب ــ فاعليةالحجج الإقناعية للخطاب السياحي في الرواية.

إن قـراءة روايـة جسـر للبـوح وآخـر للحنيـن تفتـح آفاقـا معرفية سياحية للقارئ الذي يصادف كمّا هائلا من المعلومـات والأخبار والخطابات والفنون، فكانت نصا لغويا سـياحيا متكـاملا حمّـل بشـحنات إيحائيـة وواقعيـة، "فكـل تسـطير لواقعـة مـن الوقائع، وكل تنضيد لمخيال، وتـأثيث لرؤيـة، إنّمـا يسـتمد قـوّته من الجانب المعرفي الذي يملكـه الكـاتب، والـذي يسـعى إلـى تشكيله مـن خلال البحـث، والتنقيـب، وجمـع الوثـائق وتشـكيل العالم السردي، الذي سيصب فيه أحـداث روايتـه، إنّـه الإعـداد الذي يسبق البناء في كل مشروع من المشروعات الروائية."[18]

يمكـن رصـد الخطـوط العامـة الـتي حققـت فاعليـة الحجـج الإقناعية للخطاب السياحي في الرواية في النقاط الآتية:

ـــ تقديم مدينة قسنطينة كشاهد على العصـر، فـأقبلت الكاتبـة على إحيائها، وأزقتها وفئات مجتمعها تستقي منها مـادة حكائيـة تجمع بين المتخيّل والواقعي، فشدة تعلّقها بالمدينة جعلها تهتـم بأدّق تفاصيلها وتسير مع بطلهـا خطـوة خطـوة فـي شـوارعها وأزقتها الضيقة، وتقفز بسردها مـن جسـر إلـى آخـر:" وعنـدما كان على الجسر، تذكر أنه لا زال يحتفظ بصورة لـه مـع والـده على الجسر، كان يبـدو صـغيرا جـدا كنقطـة وهميـة فـي فضـاء عـامر بـالأفلاك.. شـاهد النـاس يتحركـون بتلقائيـة غريبـة، كـل يعرف إلى أين يقصد، كانوا جميعا لا يشعرون أنهم معلقيـن مـع الجسر."[19]

إن التوثيق السردي لهذه المرحلة يعمق فهم القارئ لما جـرى ويجري في الواقع، لقد تغلغلت الكاتبـة فـي القضـايا السياسـية والدينية، وأبدت مواقفهـا مـن خلال الشخصـيات الروائيـة الـتي اختارت، فهي تكاد تلامـس كـل طبقـات المجتمـع الجزائـري، " وحينمـا تكـون الروايـة ضـربا مـن كتابـة للتاريـخ الخـاص بالمجتمعـات والشـرائح الاجتماعيـة فليـس أمـام الروائـي أن يدلس ولا أن يحور أماما فقط أن يكون صادقا مع فهمه للتاريخ و للتراث . لأنه الفهم الذي يكفله له تكوينه الثقافي والفكـري ، والذي خول له إمكانية إنشاء نصي يعيد بناء حقيقة الواقع بعيـدا عن الغنائية التي يعرفها التاريخ في كثير من صفحاته ..."[20]

ـــ الرواية دليل سياحي ، وجولة تراثية ممتعة ، تعكس خبرة وذكاء الكاتبة في خراج متنها السردي من قضايا الأيديولوجية محاولة منها كسر رتابة السرد والوصف الكتابة الواقعية، فتنفتح أبواب التراث على مصرعيها معلنة مدى ثراء مدينة قسنطينة في هذا الجانب، فتحضر الآثار المادية لحقب تاريخية ماضية
(تمثال قسطنطين، الجسور، مطبعة لادیباش، الأبواب السبعة للمدينة.

ج ـــ الحجاج باستحضار الشخصيات التراثية التاريخية

استحضرت في الرواية العديد من الشخصيات التاريخية من مثل: شخصية ماسينيسا، وصفحات من تاريخ الثورة الجزائرية.. كما وظفت الكاتبة الأغاني الأندلسية، وخاصة المالوف القسنطيني :

" طهّر يا المعلم طهر لاتخاف لاتوجع وليدي من تحت اللحاف."[21]

إضافة إلى توظيف الشخصيات التاريخية مثل: أحمد رضا حوحو، عمر راسم. والشخصيات الدينية كأسماء الأولياء الصالحون (سيدي محمد الغراب) "فالرواية التي لا تتأسس على جهد معرفي يحاصر الظاهرة التي تتوخّاها الرواية من خلال الأحداث، والأزمنة، والشخصيات، رواية فارغة خالية من المتعة والنفع. لأنّها تقدّم للقارئ خلفيات باهتة فقيرة جرداء. توحي بفقر صاحبها قبل أن توحي بفقر النص الروائي الذي يسندها، فالمعرفة التي تقترح بديلا لإيديولوجيا، معرفة تأثيثية للخلفيات التي تقوم عليها الأحداث، وتجري عليها حلقات السرد في تتبع التحوّلات التي تسكن الرواية على اختلاف طبيعتها ومنازعها."[22] تعد زهور ونيسي من أهمّ الكتّاب الذين اهتموا بتوظيف التراث، وخاصة التراث المحلي لمدينة قسنطينة كطريقة اللباس وتوظيف اللهجة الجزائرية في شكل أمثال شعبية، وتأكيد مدى ارتباط السكان بعادات وتقاليد المدينة كالحرص والدة كمال على زواج ابنها من ابنة الجيران.

ومدى حرصها على قطع العلاقة التي تربطه باليهودية راشيل. وهو ما تمثله التراكيب اللغوية الآتية:

ـــ اللباس القسنطيني:" كانت أمه تنسج الجمال بأناملها الرقيقة عبر خيوط ذهبية ، وعبر مخمليات ملوّنة كل مرّة بلون، ترسم وترسم طيورا، ونجوما، وزهورا، وأوراقا تنطق حياة، ورقة ورقة، ثم تعيد طرزها بهذه الخيوط الذهبية لتنتهي المخمليات إلى لباس وستر ووسائد وطنافس، لا تستغنى عنا العروس أو مشروع عروس، أو بيت بالمدينة المتحضرة، حتى لوكان أهلها فقراء، إنّ الأشياء الجميلة يشترك فيها الغني والفقير."[23] يعمل حرف العطف " أو" على الاختيار بين معطيات تراثية متنوّعة للباس التقليدي القسنطيني، فتتحوّل هذه الجمل إلى حجج توّجه القارئ إلى التراث الجزائري الذي يستحق زيارة سياحية متخيّلة أو واقعية.

لقد خدم التراث مرامي الكاتبة في كل قصة استذكارية تسردها ، وهذا تأكيد منها على فهم الراهن والمستقبل مرهون بفهم الماضي والتمسك بالتراث، فرحلة القراءة في رواية جسر للبوح وآخر للحنين رحلة مصالحة مع الذات ومع المجتمع ، وهي لحظة تواصل مع الزمن الماضي ومعالمه التي بقيت شاهدة على تاريخ عريق للمدينة، التي تجمع الأنا بالجماعة ، وبالتالي فتوظيف الكاتبة للتراث يشكل قيمة ثابتة في كتابات زهور ونيسي، فهو الكفيل بالمقارنة بين حياة الماضي وحياة الحاضر. سلكت الكاتبة زهور ونيسي مسلك الاهتمام باللغة العربية، فأكّدت من خلال أعماله الروائية على وظيفتها النفعية.

4ـ الوصف الحجاجي سبيل للإقناع السياحي في رواية عابر سرير للكاتبة أحلام مستغانمي.

استقطبت مدينة قسنطينة بكل رموزها وآثارها التاريخية والثقافية والحضارية أقلام المبدعين من شعراء وكتّاب ونقاد ومفكرين، فتحوّلت مظاهرها المتنوّعة إلى مادة خام انعكست بواسطة المخيّلة الأدبية إلى عمل أدبي فني يتجاوز حدود الهندسة والعمران، ليحمّل بشحنات المبدع الفكرية ووجهة نظره للواقع.

يكشف المنجز الروائي عابر سرير للكاتبة أحلام مستغانمي عن رؤية متفرّدة للمكان الروائي، وهو ينفتح على فضاءات مدينة قسنطينة العريقة. ارتكزت الرواية على استحضار الذاكرة، فقد مثّلت منبعا هاما يغرف منه كتّاب الجيل الجديد، وينحتون منه مضامين وأسرار، ووقائع تبحث عن أشكال تحقق التميّز. كما ارتكزت الرواية على الذاكرة العالمية في جوانبها الأدبية والفنيّة والتاريخية والفلسفية، وهو ما يعكس سعة ثقافة الكاتبة.

غرفت رواية عابر سرير من أحداث المأساة الوطنية الجزائرية؛ حيث عاش البطل الراوي حياة مخضرمة تتقاسمها تلك العودة المتكرّرة إلى أحداث الثورة الجزائرية تارة. ووقائع المأساة الوطنية تارة أخرى. ولأنّ أحلام مستغانمي ترغب دائما في التميز فلقد اختارت السرد بلسان الذكورة. في محاولة لإثبات الذات الأنثوية، وهي تخوض مغامرة التجريب الروائي، وهي لعبة سردية جديدة تغوص في السراديب الأكثر عمقا للمرأة، فهي حكاية عن ذاتية الأنثى باستعمال لغة الذكر، وكغيرها من الروايات العربية التي ترتكز على التراث بكل أنواعه حفلت رواية عابر سرير بكل ملامح التراث الجزائري القسنطيني مثل توظيف الأغاني الشعبية، واللهجة العامية، والأمثال الشعبية. مما يعكس استراتيجية محكمة في الكتابة تعتمد ذلك المزج الفني الجمالي بين الثقافة المحلية، والثقافة العالمية في محاولة لإثبات الذات الوطنية.

أ ـــ اللغة الشعرية وسيلة من وسائل الاستعارة الحجاجية.

تعد اللغة الشعرية " بحثا عن لغة جديدة في صميم مراجعة أدبية والنزوع إلى أدبية مغايرة تبيح فتح الرواية على الشعر ومختلف الأجناس الأدبية الأخرى والفنون. فتتعدد سجلات اللغة وتقنيات السرد ضمن مشروع كتابة جديدة هي نتاج مختلف الأجناس الأدبية في سياق السرد الروائي وثمرة التعدّد الأسلوبي.."[24] تتعالق في هذه الرواية الذّات والوطن إلى حدّ التوّحد والالتباس، وفق البنية المكانية (الغربة/الوطن) ، فتعمل اللغة الشعرية كآلية حجاجية تؤكد ارتباط الكاتبة بقسنطينة وتقديمها للقارئ في صور استعارية متميّزة " ذلك لأنّ

الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية الـتي يسـتغلها المتكلـم بقصــد تــوجيه خطــابه، وبقصــد تحقيــق أهــدافه الحجاجيــة، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، فنحن نجـدها فـي اللغـة اليوميـة، وفـي الكتابـات الأدبيـة والسياسـية والصـحفية والعلمية."[25] تقوم اللغة الشعرية فـي الروايـة علـى التوالـدات اللفظية الآتية:

- قسنطينة/الأم.

اختصرت الكاتبة عبر راويها الوطن كحيز، وحددته في مدينــة قسنطينة الـتي تحـوّلت إلـى بطـل رئيسـي فـي الروايـة يجمـع ويؤلف بين الأحداث والشخصيات والزمن؛ حيث تتراءى لنا منـذ الصفحات الأولى الأمكنة، وهي تحمل بعدا شـعريا أنثويـا مـذهلا مُجسّدا في شخصية حياة: "لكأنّها كانت قسنطينة، كلّما تحــرّك شيء فيها، حـدث اضـطراب جيولـوجي واهـتزت الجسـور مـن حولها، ولا يمكنها أن ترقص إلا علـى جثـث رجالهـا."[26] تتمـاهى من خلال هذا المقطع شخصية حياة مع مدينة قسنطينة مـوطن الكاتبة، التي قررت أن تجعل من روايتها الإنـاء الـذي يمكـن أن تضع فيه كل شـيء، فترسـم اللغـة العربيـة بنسـيجها الشـعري علاقتها بذاتها والآخر والوجود، فتخـرج لنـا صـورة لحلـم خيـالي يعمل على أنسنة المكـان بـدل تشـييئه. ولأن "الروايـة قصـيدة مكتوبة في نظر أحلام مستغانمي. على كل البحور بحــر الحــب وبحــر الجنــس وبحــر الإيــديولوجيا وبحــر الثــورة الجزائريــة بمناضليها ومرتزقيها، وأبطالها وقاتليها.."[27] فقسـنطينة المدينـة دم يسري في عروق الكاتبة، فهي الذاكرة والماضي والطفولة، وكـل مراحـل حياتهـا، فكـل "أمـاكن لحظـات عزلتنـا الماضـية، والأماكن التي عانينا فيها من الوحدة، والتي استمتعنا بها ورغبنا فيها وتآلفنا مع الوحدة فيها تظل راسخة في داخلنا، لأنّنا نرغب في أن تبقى كذلك، الإنسان يعلـم غريزيـا أنّ المكـان المرتبـط بوحدته مكان خلاّق، يحدث هذا حتى حين تختفـي هـذه الأمـاكن من الحاضر، وحين يحلم أن المستقبل لن يعيدها إلينا."[28]

ـ دلالة الجسور ومشهدية اللغة.

تحلّ قسنطينة بكلّ مظاهرها في حاضر الراوي/البطل، لذلك فهو مُجبر على استدعاء تقنية الوصف الحجاجي بكل جمالياتها التي تنصاع أمام جمال جسور قسنطينة، التي تداهم معرض باريس عبر لوحة رسم، "فجسر باب القنطرة، أقدم جسور قسنطينة، وجسر سيدي راشد بأقواسه الحجرية العالية ذات الأقطار المتفاوتة، وجسر الشلالات مختبئا كصغير بين الوديان. وحده جسر سيدي مسيد، أعلى جسور قسنطينة، كان مرسوما بطريقة مختلفة على لوحة فريدة تمثل جسرا معلقا من الطرفين بالحبال الحديدية على علو شاهق كأرجوحة في السماء."[29] ارتبطت جسور قسنطينة بلوحات الرسم التي جعلت منها مدينة مُميّزة دالّة على التحدّي، والربط بين الأجيال، فإذا كانت الكتابة الروائية الإبداعية عادة تخترق جدار اللغة بواسطة شحناتها الدلالية والإيحائية، فإنّنا نجد تجربة أحلام محاولة لاختراق هذه الشحنات في حدّ ذاتها. فجعلت لمدينتها فضاء مليئاً بالتناقضات يتّسع لكل الآراء المختلفة، فهي مدينة الراوي/البطل بتصوّراته، وهي أيضا مدينة مراد صديقه "المثقف المعروف في قسنطينة باتجاهاته اليسارية، وتصريحاته النارية ضد المجرمين."[30] تعكس الراوية أزمة الاستقرار في المكان؛ حيث تُصوّر لنا أزمة المثقّف العربي، الذي يظلّ مُعلّقا بين الشرق والغرب كعلامة استفهام كبرى، فالراوي/البطل ومن ورائه الكاتبة يبحثان عن الاستقرار النفسي، فحتى قسنطينة لم توفر لهما هذه الغاية فهم "من بعثرتهم قسنطينة..هاهم يتواعدون في عواصم الحزن وضواحي الخوف الباريسي."[31]

يُعلن الراوي/البطل العودة إلى الوطن الأم مع نهاية السرد، وبالضبط إلى قسنطينة بنظرة الجيل الجديد. فيذكر أنّ القدامى أطلقوا على قسنطينة اسم المدينة السعيدة: "وهذه العجوز الأمّية كم وفرت عليها أميتها من ألم، فهي لم تقرأ يوما ما قيل في قسنطينة هي فقط ترى ما آلت إليه، فقسنطينة المكابرة لا تدري ماذا تفعل بثراء ماض تمشي في شوارعه حافية."[32] تجعلنا الراوية عبر فضاء قسنطينة أمام تمفصلات لا حد لها يحكمها منطق التناقض والتضاد. "فقسنطينة الفاضلة التي تحرسها الآثام ويحكمها الضجر المتفاقم، وهذيان

الأزقة المحمومة المثقلة بـالغرائز المعتقـة تحـت الملايـات لـم تتغير."[33] إنه فضاء كابوسي. يلتحم المتخيّل بالواقعي في شكل يـثير الدهشـة، "فمـازال يرعـب نسـاءها الجميلات التعيسـات، الشـهيات، الشـهوانيات، الخـوف المزمـن مـن نميمـة أناسـها الطيبين الخبثاء ولذا، هي تجلـس علـى جـانبي مقعـدي، عجـوز ثرثارة على يميني، وفتاة صامتة على يساري، وأنا قدري؛ حيث أذهب أن أقع بين فكي حبّها."[34] إنهـا قسـنطينة فـي ظـل واقـع فقد فيه الإنسان كل أولوية باعتباره صانع التغيير.

تُمارس الكاتبة وهي تخـط منطـق بنـاء روايتهـا لعبـة اسـتدراج القارئ مـن خلال توظيـف نظـام التضـاد اللغـوي، فكلّمـا يُخيـل للقارئ أنه سيكتشف السّر يواجه سرّا آخـر يرجعـه إلـى نقطـة البداية، "فخصائص الروايـة تبوئهـا مكانـة علـى مـدرج الحريـة، نعني التجدّد والتبدل والتمرد على الجذور وما ورد بعد الجــذور، وارتياد آفاق بلا سواحل، أي السعي باستمرار إلى الانعتاق مــن القوالب الجاهزة وتحطيم الثابت،"[35]

تصـبح اللغـة مـن خلال هـذا البنـاء الروائـي المتشـظي حالـة شعرية غرائبيـة، تفـارق قواعـد اللغـة المتعـارف عليهـا وتنسـج لنفسها لغتها الخاصة المركبة من لغة الحاضر.

إنّ المكان الحميمي في رواية عابر سرير ينفتح على سلسـلة من الانفجارات النفسية، والهـواجس تمثـل تجربـة الصـراع مـع الذات أولا، ومع الآخـر ثانيـا، ومـع اللغـة مطلقـا. لـذلك حملـت خاتمة الرواية حنينا إلى قسنطينة، وعودة البطل /الراوي رفقـة جثمــان الرسّــام زيــان إلــى المكــان الأم. فاختــارت الكاتبــة استعمال اللغة العامية كأفضل طريقة للتعـبير عمـا يختلـج فـي أعماق العائدين إلى قسنطينة: "قسـنطينة..آلميمـة جيتـك بيـه. صغيرك العائد من برّاد المنافي، مرتعدا كعصـفور ضـميه. كـان عليه أن يقضي عمرا مـن أجـل بلـوغ صـدرك. وليـدك المغبـون لفرط ما هو لك ما عاد هو، لفرط ما كـان خالـد مـا عـاد زيـان، لفرط ما أصبح زيان ما وجد له مستقرا غير قبر أخيه."[36] وبيــن المراوغة بين رواية ذاكرة الجسـد وروايـة عـابر سـرير، تحـاول الكاتبة إسقاط القارئ في متاهة الخلط بين الشخصـيات، ومـن ثمّة الخلط بين الأمكنة والأزمنـة، هـذا لأن روايتهـا "نـص جـامع قادر على إدراك وقائع الحياة المجتمعية والإنسانية عامة، ونحن

على مشارف القـرن الواحـد والعشـرين، وعلـى اسـتيعاب أدق الحالات والمواقف ومقاربة أدق أشياء الوجـود. فتكـون ملحمـة عصر لا طبقة مخصوصة، ونظامها علاميا يجعل اللغة في حــوار مع أنظمة علامية أخرى.."[37] تمثل قسنطينة البداية والنهاية في الروايـة، وهـي مـوطن مشـاعر الحنيـن إلـى الـوطن الجزائـر. منحت اللغة العامية الرواية مساحات ملائمة لعرض صـور تلـك المشـاعر. وباتّحـاد اللغـة الفصـحى مـع اللهجـة العامّيـة تـزداد المشاهد جمالية، وتتفجر طاقـات اللغـة الشـعرية الـتي"تسـهم في خلق كيان فن موحّد متكامـل مـن مـواد متنوعـة ومتنـافرة وغريبة عن بعضها البعض."[38]

5ـــ الوصف الحجاجي في روايـة الملحـد بقـي بـن يقظان للكاتب عبد الرشيد هميسي

يؤسس عبد الرشيد هميسي مشروع السياحة الصحراوية في الجزائر، بالارتكـاز علـى فعـل السـرد والوصـف الحجـاجي، فيشرع في سرد الصحراء في روايته الموسومة: "الملحد بقـي بـن يقظـان" بـالتطرق إلـى أهـم أبعـاد السـياحة فـي الجنـوب الجزائــري بــالتركيز علــى الوصــف الحجــاجي الــذي يؤســس الخطاب السّياحي في هذه الرّواية فنحلم مع السّائح ونتلذّذ بما يأكل، ونشتهي مشاهدة التّقاليـد السّـوفيّة، فنتعـرّف مـن خلال بطل الرّواية "باقي" "Baki" على تلك القيم الّ تي نه ض عليه ا المجتمع السّوفي. فتتحوّل القراءة إلـى مشـروع إلـزام لزيـارة أمكنة الرواية ، "فتحليل ظواهر الاستفهام والأمر والوعـد يـبيّن أنّ اللغـة تشـتمل، بصـفة ذاتيـة وجوهريـة علـى مجموعـة مـن الإجراءات التي تسمح بإقامة تنوّع كبير في العلاقـات الانسـانية الذواتية."[39]

أ ــ السرد فعل لغوي ثقافي سياحي في الرواية

تتنوّع مجـالات السـرد وتتزايـد حيـويته ووظيفتـه مـن خلال ارتباطه باللغة، حيث يرى رولان بارط Barthes R. وتختلـف حسـب تصـور المبـدع، فالسـياحة قضـية مسـتحدثة فـي الأدب العربـي كافـة والأدب والجزائـري علـى وجـه الخصـوص، لـذلك يحاول الكاتب أن يدرج السياحة كبنية أساسية من بنيات السرد لأنه جنس لا يعترف بالثبات والاستقرار المنهجـي والموضـوعي

أيضـا، لـذلك ينتقـي مختلـف قضـايا الواقـع ويعـبر عنهـا وفـق متطلبـات هـذا الراهـن الـذي لا يثبـت هـو الآخـر علـى حـال واحدة،حيث يعمل الحجاج على " إنجاز متواليـات مـن الأقـوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائـج التي تستنتج منها. إنّ كون اللغة لهـا وظيفـة حجاجيـة يعنـي أنّ التسلسلات الخطابيـة محـدّدة، لا بواسـطة الوقـائع Les faits المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محـدّدة أيضـا وأساسـا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها."[40]

ب ـــ البنيـــة الســـردية مـــدخل للســـياحة المحليـــة والعالمية.

تعمل البنية السردية في رواية الملحد بقي بن يقظان على قاعدة تنطلق من السياحة المحلية باتجـاه العالميـة، ثـم يقلـب المفهوم فيبدأ من السياحة العالمية نحو المحلية، حـتى يتسـنى له إبراز مدى أهميـة السـياحة المحليـة فـي الجزائـر، وضـرورة العمل على التعريف بها فـي الأعمـال الفنيـة والإبداعيـة، فـبين باريس والجزائر ينتقل البطل باحثا عـن الحقيقـة الألهيـة نقـرأ: "عيناك الأندلسيتان لا زالتا تهباننني الحياة هنـا فـي بـاريس، لأن كل شيء في باريس يكاد يمـوت، بفضـل زرقتهمـا اسـتطيع أن أتنفس وأضحك وأركض وأمـارس الحيـاة، ولهمـا فقـط أعـزف علـى قيثـارتي فـي ليـل الشـتاء الطويـل كـي أكسـر قسـوته وكبريـاءه."[41] وبالتـالي فالوصـف المكـاني للبنيـتين بـاريس/ الجزائر يقوم على ضرورة تقديم الحجـج والأدلـة، الـتي تجعـل من الفعل الحجاجي " يفرض على المخـاطب نمطـا معيّنـا مـن النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار ، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقـة الـــتي يتبغـــي أن يســـلكها الخطـــاب بخصـــوص تنـــاميه واستمراره."[42]و من تلك الحجج الحديث عن الصـحراء وعلاقتـه بالشخصيات فالملاحظ أن عبد الرشيد هميسي يبدأ في الترويج لصـحراء الجزائـر مـن جدليـة أخـرى تتمثـل فـي ثنائيـة المـوت والحياة؛ فيصور الحياة وروعتها في التعرف على الجنـوب نقـرأ " كانت الصحراء أوسع مما تصوّرت وأنقى وأهـدأ ممـا تخيّلـت.

لم نصل إلى المكان الذي سنقيم فيه إلاّ بعد مسيرة طويلة، بعد أن انقطعت الأصوات فلا صوت يتناهى إلى أسماعنا، ليس فوقنا إلاّ سماء وليس تحتنا إلاّ رمل. بدأت أذوق الخلوة عند أوّل وصولنا إلى البئر الذي سنقيم قربه. سرحت بصري فإذا الصحراء لا نهاية لها، الرمل يشكل خطوطا خطوطا محدبة ملتوية وعابثة، تفرقت فيه نباتات بلون أخضر مغبّر، سمّى لي مختار بعضها: الحلفاء ذات اللون الأصفر والأخضر، وشجرة الزيتا التي سنقتلعها لأن النار المتقدّة من حطبها قوية ودائمة. والشويكة ذات الأوراق الإبرية الواخرة، والعضيدة والحارّة، وشيحة الإبل، وفول الجمل والعقّافية والطّازية والبشنة والنتين والّبين وبوقرية وذويل الفار.."[43] تعمل الروابط الحجاجية في المقطع السردي على توالي الحجج التي تثبت تنوّع الصحراء الجزائرية فحرف العطف الذي يتكرّر مع كل مشهد يرتبط بالسياق السياحي الذي وضع من أجله، وفي تلك الجدلية التي يعمل الكاتب على إظهارها يرفع من قيمة السياحة المحلية مقارنة بالعالمية، على اعتبار أن صحراء الجزائر لا تقل قيمة عن "باريس"، والواضح أن الكاتب يقيم تحديا يسعى من خلاله إلى عالمية الصحراء الجزائرية، من خلال الأعمال والفنون الأدبية التي تعبر عن الصحراء.

ج ـــ الأفعال اللغوية و المقصدية السياحية في الرواية.

تسهم الملامح السياحة الدينية في الرواية في تقديم البنية اللغوية، فالفعل اللغوي" أصبح نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوّسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية: كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد.. وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما".[44] نلمس في المقطع السردي الآتي حضورا للاستفهام نقرأ:" ابتعد حتى أصبح نقطة رمادية تتحرك ببطيء ثم امّحت، بقدر

ما أعجبني لونه الرمادي بقدر ما حيّر فيّ سؤالا فأسئلة: لم كان لونه رماديا؟ أجبت: لكي لا يكون وضّاحا لمفترسيه، فاللون الرمادي قريب من ألوان الصحراء، ولم بقية الهوام والزواحف ألوانها ليست وضّاحة؟ العقرب أصفر، والأفعى بني بارد، والعنكبوت والضّب والورل كلها بين الأصفر والبني البارد؟ أجبت: لكي لا ترى حين تصطاد أو تصطاد. ثم قلت: من الذي صبغها بهذه الألوان لكي يناسب لونها صحراءها؟"[45] يفعّل الاستفهام كظاهرة لغوية لافتة العقل الباطن الذي يبحث عن أجوبة لأسئلة فلسفية تدور في ذهن البطل الإشكالي بقي، فيستعين الكاتب بالموجودات الصحراوية في محاولة إقناع البطل.

دــ الوصف الحجاجي لمنطقة حاسي خليفة.

لم يرد الاسم الدال على المكان " حاسي خليفة " في الرواية اعتباطا، وإنما شكّل حضوره مظهرا من مظاهر الصحراء، فمقام الوصف الصحراوي للمكان يظهر في: "طالعنا نخيل "حاسي خليفة" بلونه الأخضر الداكن، وبطوله الشاهق وكأنه يستطلع القادمين ليخبر البلدة بقدومهم. وعلى أطراف الطريق رأينا جمالات يسترزقن بما جادت به الأرض. أما الشمس فقد نأت إلى الأفق لتغرق فيه تاركة وراء الأشياء ظلالا أطول منها بكثير"[46]، إذ تعتبر الصحراء من أهم الروافد السياحية في الجزائر؛ لأنها تحوز على مساحة شاسعة تحتوي هي الأخرى على مرتكزات الاقتصاد الجزائري كالنفط والغاز والرمال والتمور وغيرها، وفي العقود الأخيرة باتت الصحراء محط اهتمام الأدباء الجزائريين، فأصبحت قضية هامة في الطرح الإبداعي يعبر عنها الكتاب بمختلف الأساليب الفنية في القصيدة والرواية والقصص، ففي: "الجنوب تتداخل العوالم مثلما تتداخل الأفراح بالمآسي ومثلما يتداخل جوهر الليل في سماوات النور، في أيما عالم هناك حدود وسدود وفي الجنوب عوالم إن بدأت بها لا تجد لها نهايات، كل البدايات تتجمع هناك وتنطلق،"[47] وتتحدّد الدلالة الجوهرية للصحراء من خلال تجاوزها للتشكيل الهندسي الذي تصنعه اللغة عبر صفحات الرواية إلى تشكيل دلالي ثقافي يتحدد من خلال السياق

الحضاري والثقافي الذي وضعت فيه،" فالرموز الثقافية لا تنفصل عن الخطابات، لأنّها تستتبع قواعد وتقاليد ومعتقدات يجب صياغتها لغويا حتى يتم تداولها من ناحية، والمحافظة عليها من ناحية أخرى، فالموروث الثقافي ــ إذاــــ) القوانين، السلوك، الممارسات، العادات(هو مجموعة من الأفكار والطقوس والشعائر والممارسات يتم تداولها بواسطة اللغة، وتستجيب اللغة في هذه الحالة لشروط هذا الموروث وضروراته، لما له من سلطة وهيمنة على الإنسان الذي ينطق باللغة."[48] تسترسل المقاطع الدالة على قوّة الصحراء في تغيير توّجه البطل من الحضارة الغربية المادية إلى الحضارة العربية الشرقية الروحية، من الأمثلة الدالة على ذلك:

"عندما حل الليل أشرق القمر فأضاء الأمكنة بضوئه الفضي، وانرسمت وراء جذوع نخل بستان مختار ظلال سوداء ممتدة وكأنها لا ترضى أن تقع عليها فضة القمر. كنت أفكر فيما قاله لي مختار، فقد أخبرني أنه سيخرج مع نفر من أصحابه إلى عرض الصحراء سياحة، ودعاني إلى الخروج معه ووعدني أني سأرى في عرض الصحراء أشياء ليست في البادية ولن أراها ما عشت...فوافقت على ذلك وانفتح علي السؤال: ما الذي سأراه في عرض الصحراء ولن أراه طول عمري؟!"[49] نقل لنا الرّوائي صورة المكان بأدقّ حيثياته، فجعلنا نعيش راهن الرّحلة لحظة بلحظة،" طالعنا نخيل "حاسي خليفة" بلونه الأخضر الداكن ، وبطوله الشّاهق وكأنّه يتطلّع القادمين ليخبر البلدة بقدومهم، وعلى أطراف الطّريق جمّالات يسترزقن بما جادت به الأرض، أمّا الشّمس فقد نأت إلى الأفق. "[50]

" رائحة الأعشاب الصّحراوية تنبعث من حين إلى آخر في البستان النّخل كثير، وخليط الرّوائح المنبعثة منه تنعش؛ البلح، والقرع، والفلفل، والبطّيخ، والعنب، والتّفّاح، والرّمل البلّل...، أمّا القمر فقد كان ينشر ضوءه الفضّيّ على النّخيل الأشجار كأنّه يبسط سلطانه على النّخيل والأشجار فتتلوّن الأرض بالفضّة والسواد، وتتماهى الأشياء وتتماحى الفوارق كأنّها ما كانت متمايزة في النّهار."[51] من خلال هذه الأمثلة تنفتح عوالم البنيتين المكانية والزمانية بواسطة اللغة على المرجعيات

الثقافيـة الـتي تكسـب المكـان وظيفـتي الشـعرية والمعرفيـة، فيتعـرف القـارئ السـائح علـى أنـواع الحيوانـات والحشـرات والمكوّنات الجزئية الصحراوية وبأدّق التفصيل.

وكخلاصة لما سبق يمكن القـول أنّ موضـوع الأدب السـياحي الذي تجلي بأبعاده السياحية في الرواية الجزائريـة مجـال مـثير للبحث والدراسة. يمكن استنتاج الإضاءات الآتية:

ـــ يحمـل النسـيج اللغـوي للأدب السـياحي شـحنات حجاجيـة متنوّعة الأساليب تهدف بصفة أدق إلى التواصل، وتفعيل عنصر المثاقفــة بيــن الشــعوب. وبالتــالي تتجــاوز اللغــة فــي الأدب السـياحي الوظيفـة اللسـانية الشـكلية إلـى تحقيـق الوظيفـة النفعية التواصلية بأساليب الإمتاع والإقناع.

ـــ تعد رواية جسر للبوح وآخـر للحنيـن دليـل سـياحي ، وجولـة تراثية ممتعة ، تعكس خـبرة وذكـاء الكاتبـة زهـور ونيسـي فـي خراج متنها السردي من قضايا الأيديولوجية محاولة منهـا كسـر رتابة السرد والوصف الكتابـة الواقعيـة، فتنفتـح أبـواب الـتراث علـى مصـرعيها معلنـة مـدى ثـراء مدينـة قسـنطينة فـي هـذا الجـانب، فتحضـر الآثـار الماديـة لحقـب تاريخيـة ماضـية مـن مثـل:تمثـال قسـطنطين، الجسـور، مطبعـة لاديبـاش، الأبـواب السبعة للمدينة..

ـــ تحلّ قسنطينة بكلّ مظاهرها في رواية عـابر سـرير للكاتبـة أحلام مسـتغانمي، فتحضـر تقنيـة الوصـف الحجـاجي لتصـوير مدينة الجسور لغوية وتخييليا، مما أكسب السرد صـفة التحقـق المنفعي عن طريق العلاقة التي تربط القارئ بالرواية إلى حــد السـفر لرؤيـة تلـك الجسـور الـتي وصـفت بشـكل دقيـق فـي الرواية.

ـــ تسهم ملامح السياحة الدينية في رواية الملحد للكاتب رشيد هميسي في تقديم البنية اللغوية، حيث تعمل الروابط الحجاجية على توالي الحجج التي تثبت تنوّع الصحراء الجزائريـة، فحـرف العطف الذي يتكرّر مـع كـل مشـهد يرتبـط بالسـياق السـياحي الذي وضع من أجله، وفي تلك الجدلية التي يعمل الكاتب علـى إظهارها يرفع من قيمة السياحة المحلية مقارنة بالعالمية، على

اعتبار أن صحراء الجزائر لا تقل قيمة عن "بـاريس"، والواضـح أن الكاتب يقيم تحديا يسعى مـن خلالـه إلـى عالميـة الصـحراء الجزائرية، مـن خلال الأعمـال والفنـون الأدبيـة الـتي تعـبر عـن الصحراء.

الهوامش:

1يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2012، ص 273.
2المرجع السابق، ص 275 عن :
عز الدين المناصرة، جمرة النص الشعري، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان، الأردن،، ط 1، 1995، ص 306.
3يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، ص 277، عن :
مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 577.
4يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، ص 281
5 محمد عبد الله القواسمة، الرواية والسياحة، دنيا الوطن 13/10/2018، من الموقع الالكتروني: *https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/475111.html* ، تاريخ الزيارة 12/10/2022
6ـ فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القالهرة، مصر، ط 1، 2013، ص 09.
7 ـ أبو بكر الغزاوي ، اللغة والحجاج، العمدة للطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 16.
8 ـ م ن، ص 18.
9 ـ م ن، ص 31.
10 ـ م ن، ص 15.
11 ـ المرجع السابق، 16.
12 ـ شاكر نوري، زهور ونيسي، الرواية الجديدة تكتب قرب الناس وتلامس همومهم، 30 ديسمبر 2012. www.albayan.ae
13 ـ شريبط أحمد شريبط، الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية زليخا السعودي، من 1943 إلى 1972 ، جمع وتحقيق، الصندوق الوطني للترقية الفنون والآداب، وزارة الاتصال والثقافة، ط 1 ،2001، ص 374.
14 ـ زهور ونيسي، جسر للبوح وآخر للحنين، وزارة الثقافة العربية ، الجزائر، د.ط، 2007، الإهداء.
15 ـ الرواية، ص 7.
16 ـ عزيزة مريدن ، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1980، ص 25.
17 ـ حبيب مونسي، الرواية الجزائرية الحديثة الواقع والمأمول: المحكي العربي (أسئلة الذات والمجتمع) تقديم السعيد بوطاجين، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط 1، 2014 ،ص 37.
18 ـ الرواية، ص 10
19 ـ الرواية ، ص 200.
20 ـ حبيب مونسي ، .الرواية الجزائرية الحديثة الواقع والمأمول : المحكي العربي (أسئلة الذات والمجتمع)، تقديم سعيد بوطاجين،ص 67
21 ـ الرواية ،ص 52.
22 ـ حبيب مونسي، الرواية الجزائرية الحديثة الواقع والمأمول: المحكي العربي (أسئلة الذات والمجتمع)، تقديم سعيد بوطاجين، ص 68.
23 ــ الرواية، ص 91.
24 ـ الكيلاني مصطفى، التجريب في نماذج من الأدب الروائي التونسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد 64، 1992،ص 72
25 ـ أبو بكر الغزاوي ، اللغة والحجاج، ص 108.
26 ــ أحلام مستغانمي ، عابر سرير، منشورات ANEP، طبعة الجزائر، 2004، ص 16.
27 ـ وجدان الصائغ ، شهرزاد وغواية السرد، قراءة في القصة والرواية الأنثوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 224
28 ـ باشلار غاستون ، جماليات المكان، ت.غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط 2، 1984، ص 40
29 ـ مستغانمي أحلام ، عابر سرير، ص 54.
30 ـ م ن، ص 67.
31 ـ م ن، ص 118.
32 ـ م ن، ص 306.
33 ـ م ن، ص 306ـ 307.

34 ـ م ن، ص 307.
35 ـ- حمدي محي الدين، الإغراب في الرواية العربية الحديثة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسـانية بصفاقس، تونس، ط 1، 2009

ص 12.
36 ــ مستغانمي أحلام ، عابر سرير، ص 312.
37 ـ الكيلاني مصطفى، التجريب في نماذج من الأدب الروائي التونسي، ص 72.
38 ـ محمد الأمين الطلبة محمد سالم، مستويات اللغة فـي السـرد العربـي المعاصـر، دراسـة نظريـة تطبيقية، في سيمانطيقا السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص 61.

39 ـ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 117.
40 ـ م ن، ص 17.
41 عبد الرشيد هميسي: الملحد بقي بن يقظان، دار ميم، الجزائر، 2022، ص 9.
42 ـ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 16.
43 ـ الرواية، ص 107.
44 ـ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1،2005، ص 40.
45 ـ الرواية، ص 118.
46 الرواية، ص 70.
47 نقولا ميشال فتوش: السياحة نهر الأفكار، مرجع سابق، ص ص 37/38..
48 ـ عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط 1، 2010، ص 51.
49 الرواية، ص 101، 102.
50ـ الرواية، ص 70.
51 ـ م ن، ص 71.

قائمة المصادر والمراجع:

أـ المصادر:

1. ــ أحلام مستغانمي، عابر سرير، منشورات ANEP، طبعة الجزائر، 2004.
2. ــ زهور ونيسي، جسر للبوح وآخر للحنين، وزارة الثقافة العربية ، الجزائر، د.ط، 2007.
3. ــ عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، دار ميم، الجزائر، 2022.

ب ــ المراجع:

1. ــ أبو بكر الغزاوي ، اللغة والحجاج، العمدة للطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006.
2. ــ باشلار غاستون ، جماليات المكان، ت.غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط 2، 1984.
3. ــ حبيب مونسي، الرواية الجزائرية الحديثة الواقع والمأمول: المحكي العربي (أسئلة الذات والمجتمع) تقديم السعيد بوطاجين، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2014.
4. حمدي محي الدين، الإغراب في الرواية العربية الحديثة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، تونس، ط 1، 2009
5. ــ يوسف وغليسي، في ضلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2012.
6. ــ شريبط أحمد شريبط، الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية زليخا السعودي، من 1943 إلى 1972 ، جمع وتحقيق، الصندوق الوطني للترقية الفنون والآداب، وزارة الاتصال والثقافة، ط 1 ، 2001.
7. ــ عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط 1، 2010.
8. ــ عزيزة مريدن ، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1980.

9. ـــ فييليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القالهرة، مصر، ط 1، 2013ـــ
10. ـــ محمد الأمين الطلبة محمد سالم، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية، في سيمانطيقا السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
11. ـــ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1،2005.
12. ـ وجدان الصائغ ، شهرزاد وغواية السرد، قراءة في القصة والرواية الأنثوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008.

ج ـ المجلات :

13. ـــ ـ الكيلاني مصطفى، التجريب في نماذج من الأدب الروائي التونسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد 64، 1992.

د ـ المواقع اللإلكترونية:

14. ـــــ محمد عبد الله القواسمة، الرواية والسياحة، دنيا الوطن 13/10/2018، من الموقع الالكتروني: *https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/475111.html* ، تاريخ الزيارة 12/10/2022ـ.
15. ـــ شاكر نوري، زهور ونيسي، الرواية الجديدة تكتب قرب الناس وتلامس همومهم، 30 ديسمبر 2012 .www.albayan.ae